

## التصوّر الجسدي، أيّ مصطلح لأيّ مفهوم Body schema, any term for any concept?!

د. سعد الحاج بن جخدل<sup>\*1</sup>

<sup>1</sup> جامعة ابن خلدون، تيارت/ الجزائر

[saadelhadj@univ-tiaret.dz](mailto:saadelhadj@univ-tiaret.dz)

تاريخ النشر: 2021/01/25

تاريخ القبول: 2021/01/18

تاريخ الاستلام: 2020/12/31

### الملخص:

إننا عندما نتكلم عن مفهوم التصور الجسدي (Body Schema) لا نكون فقط أمام مفهوم مركزي في علوم النفس والتربية، بل سنكون أيضا في مواجهة قضية أساسية يرتبط بها طيف واسع من النشاطات والمهارات الأدائية؛ ومنها على وجه الخصوص تلك التي تتعلق بالجانب النفس-حركي؛ وبالتالي فأى خلل في بناء هذا التصور الجسدي من شأنه أن ينعكس على هذه النشاطات الأدائية. انطلاقا من هذا المكانة التي يحظى بها التصور الجسدي كمفهوم وكقدرة، نحاول في الورقة الحالية أن نكوّن صورة متكاملة عن تاريخ ظهور هذا المصطلح وما رافقه من نقاش علمي، إضافة الى تحديد المكونات المفاهيمية الدقيقة التي ارتبطت بهذا المصطلح بعد استقراره في القاموس السيكولوجي، دون اغفال مميزاته التي تبرزه ككيان مستقل عن المصطلح الرديف صورة الجسم (Body Image). في سبيل تحقيق هذه الأهداف اعتمدنا في ورقتنا هذه على التحليل النظري لبعض من أهم الأدبيات التي تناولت المصطلح منذ لحظة ظهوره في الساحة العلمية حتى الأيام والأشهر الأخيرة التي سبقت كتابة هذه الأسطر، وقد نتج عن عملية التحليل وإعادة التركيب هاته بناء نظري تأسس بداية على تتبع تاريخ ظهور وتطور مصطلح التصور الجسدي بدءاً من أعمال طبيب الأذن الفرنسي بيير بونيه (1861-1918) الذي يعتبر أول من استحضّر هذا المصطلح؛ إضافة الى تقديم تعريف للتصور الجسدي استنادا لأبعاده الثلاث (إدراك الجسد كوحدة متكاملة؛ التعرف على مختلف أجزاء الجسم؛ التوجه الفضائي) والتي شكّلت لاحقا المكونات الأساسية لمسارات نمو وتطور التصور الجسدي. دون اغفال

الحديث عن حقيقة أن التصور الجسدي يتميز عن صورة الجسم ذات البعد السوسيو-نفسى بكونه ذو بعد عصبي-معرفي.

الكلمات المفتاحية: التصور الجسدي، صورة الجسم، التوجه الفضائي، النفس-حركية.

**Abstract:**

When we talk about the concept of body schema, we are not only facing a central concept in the psychology and education sciences, but we will also be facing a fundamental issue, which is related to a wide spectrum of activities and performance skills. Among them in particular, that relates to the psychomotor side; Consequently, any deficiency in building this body Schema would be reflected in these performance skills. Based on this worth of the Body Schema as a concept and as an ability, we try in the current paper to form an integrated picture of the emergence history of this term and the scientific discussion that accompanied it, in addition to identifying the precise conceptual components that were associated with this term after its stability in the psychological dictionary, without ignoring its features Which highlights it as an entity independent of the analogous term (Body Image). In order to achieve these goals, we relied in this paper on a theoretical analysis of some of the most important literature that dealt with the term from the moment it appeared in the scientific arena, right up to the last days and months preceding the writing of these lines. This process of analysis and recombination resulted in a theoretical construction based initially on tracing the history of the emergence and development of the term body schema, beginning with the work of the French otologist Pierre Bonnier (1861-1918), who is considered the first to invoke this term. In addition to providing a definition of the body schema based on its three dimensions: (the perception of the body as an integrated unit; the recognition of the various parts of the body; the spatial orientation), which later formed the basic components of the growth and development pathways of the body schema. Without neglecting to talk about the fact that the body schema is distinguished from the body image -(of which is related to the socio-psychological dimension)- by being related to the neurocognitive dimension.

**Keywords:** Body Schema, Body Image, the Spatial Orientation, Psychomotricity.

## مقدمة:

على الرغم من أنه عادة ما يتم اعتباره أمرًا مفروغًا منه، إلا أنه من أجل القيام بنشاطات حركية عادية بشكل فعال، يحتاج المرء دائمًا إلى تقدير كل من الحالة الساكنة والحركية للجسم ككل وكذلك الأجزاء الفردية؛ هذه المعلومات مستمدة من عدد من حلقات التغذية الراجعة الحسية، بما في ذلك الإشارات التي تقع على المستقبلات في العضلات والأوتار والأربطة والجلد (معلومات التحسس الحسي، والحركي، والمعلومات اللمسية) والأذن الداخلية أو الإحساس الدهليزي (الاتجاه، وسرعة حركة الرأس) والرؤية. وربما كنتيجة لتجارب جماعية مع مثل هذه المدخلات الحسية المنفصلة، فقد تم اقتراح أن الأفراد يطورون في النهاية ما يمكن اعتباره إحساسًا فائقًا بالجسد، بغض النظر عن حركته في الفضاء أو الزمان؛ هذا الإحساس هو ما بات يعرف في الأدبيات النفسية والتربوية بالتصور الجسدي.

يعتبر مفهوم التصور الجسدي من المفاهيم التي يختلف الباحثون حول تعريفها، والذي كُتبت حوله عدة كتابات متفاوتة في الكم والكيف؛ الأمر الذي صبّب من مهمة المشتغلين في العلوم النفسية كمحاولة منهم للخروج بتصوير نظري مقبول لمفهوم التصور الجسدي من جهة، و جعل بعض الباحثين يحجمون عن دراسة هذا الموضوع من جهة أخرى.

فلقد جاء على لسان أنجيليرغ ريني (Angelergues, R) "أن مفهوم التصور الجسدي يعتبر مفهوم عديم الفائدة، وغير ضروري؛ بل وقد يعتبر عقبة أمام التفكير البيولوجي والنفسي على حد سواء" (Angelergues, 1972)

إن هذه الملاحظات والانتقادات التي واجهها مفهوم التصور الجسدي، سواء من حيث التنويه بقيمته كمفهوم سيكو-حركي يتأثر ويؤثر في قدرات تربوية ونمائية أخرى، أو من حيث التقليل من قيمته بوصفه أحد المفاهيم الفضفاضة التي لن يؤدي البحث فيها إلا إلى مزيد من الارتباك في القاموس السيكلوجي. كلّها أمور زادت من حرصنا على محاولة سبر أغوار هذا المفهوم والإحاطة أكثر به؛ لهذا السبب ولأسباب أخرى -يرتبط بعضها بقيمة المفهوم في مجال التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة (اشتغال الباحث)- سنقدم في هذا الورقة البحثية مجموعة من التصورات والرؤى النظرية حول هذا المفهوم، وذلك بقصد إجلاء مختلف حقائقه وضبط مصطلحاته، دون إغفال الحديث عن التاريخ العلمي الذي مرّ به قبل أن يصبح على ما هو عليه.

## تاريخ مصطلح التصور الجسدي

تاريخياً تشير بعض المصادر على غرار (Cuzzolaro, 2018) الى أن طبيب الأذن الفرنسي بيير بونيه (1861-1918) هو أول من استحضّر كلمة (Schéma) كإشارة منه الى التمثيل الداخلي والمكاني والطبوغرافي لجسد المرء، وقد ميّز هذا المفهوم الجديد عن المفاهيم الكلاسيكية والأكثر غموضاً كالجسّ المُشْتَرَك (Cenesthesia) و مرض الحسية العضوية (Cenestopathy). بونيه (Bonnier) الذي نشر كتاباً بعنوان (Le vertige) أو (الدوار) كان مهتماً بشكل خاص بمفهوم الحس المكاني (Spatial Sense)، وإدراك وضعيات وحركات أجسامنا في الفضاء، وكذلك تجاه الأشخاص والأشياء الأخرى في البيئة؛ وقد افترض بعد ذلك وجود ما بات يعرف لاحقاً بالتصور الجسدي لشرح قدرة الإنسان على تحديد موقع المنبه المحسوس بدقة، داخل الجسم، أو على محيطه، وكان تحديد مكان المدخلات الحسية هو السمة الرئيسية للاضطرابات التي جمعها بونيه تحت مسمى (Hyperschématic) كإشارة الى المبالغة في تصور أجزاء من الجسم أو الجسم كله، و (Hyposchématic) كإشارة الى التقليل من التصور و (Paraschématic) كإشارة الى إزاحة أجزاء الجسم، كما اطلق مصطلح (Aschématic) كتعبير عن فقدان الوعي الجسدي الذي يتمثل حسبه في "تخدير مرتبط بالمفهوم الطبوغرافي والتنظيم الفضائي للجسم" (Bonnier, 1904, p605).

حسب (Alcaraz, 2021) فقد أجرى طبيبي الأعصاب الإنجليزي هنري هيد (Henry Head) و جوردون مورجان هولمز (Gordon Morgan Holmes) عملاً رائداً في الجهاز الحسي الجسدي والأعصاب الحسية، قدّما من خلاله ولأول مرة مفهوم واضحاً عن التصور الجسدي سنة (1911) سموه في البداية بـ (تصور الوضعية - Postural schema) لوصف التنظيم الفضائي المضطرب للمرضى بعد تلف الفص الجداري للدماغ؛ ولاحقاً أشار هيد وهولمز الى وجود تصورين: تصور جسدي لتسجيل الوضعية أو الحركة وتصور جسدي ثاني لتحديد المناطق المحفزة على سطح الجسم. و بهذا الوصف أصبح (التصور الجسدي-Body schema) المصطلح المستخدم للتعبير عن "النماذج المنظمة لأنفسنا" حسب (Head & Holmes, 1911).

بعد اثنا عشر سنة من ظهور المصطلح على يد هيد (Head) و هولمز (Holmes) وتحديد سنة 1923، قام أخصائي الطب العقلي النمساوي بول شلدر (Schilder) بالتأكيد على المصطلح مع تقديم مصطلح ثاني وصف به مفهوماً متداخلاً مع مفهوم التصور

الجسدي ألا وهو (صورة الجسم-Body Image) والذي كان بداية لنقاش كبير ارتبط بمحاولة التمييز بين هذين المفهومين؛ وقد برز هذا التداخل بين المفهومين والمصطلحين تاريخيا في التعريف الذي قدمه (Schilder, 1935, p11) من خلال وصفه لصورة الجسم بأنها تمثل التصور ثلاثي الأبعاد الذي يحمله كل منا عن جسمه الخاص، في حالة السكون أو الحركة و التأثير في الفضاء، بالإضافة إلى موقع الأجزاء المختلفة للجسم مقارنة بعضها ببعض. بحيث تنتج هذه الصورة عن تكامل البيانات الحسية الواردة لمختلف أجزاء الجسم، و هو كذلك بناء يتضمن وحدة الشكل لكل البيانات، لهذا السبب يأخذ المفهوم أبعادا أكثر تعقيدا تتضمن الدلالات الرمزية للتمثيل الجسدي، بالإضافة إلى قيمتها الاجتماعية، هذا المبدأ المنظم الذي يمنح الشعور بالوحدة و الفردانية و الملكية للجسم الخاص، ينبني أيضا انطلاقا من تجارب انفعالية ليبيدية.

ونظر لأن الحديث عن التطور التاريخي لمصطلح التصور الجسدي ارتبط بعدة تعابير متداخلة ظهرت لوصف مفاهيم ذات صلة بمفهوم التصور الجسدي، فإننا في حاجة الى تقديم ترتيب كرونولوجي لظهور هذه التعابير مع الإشارة الى أول من تحدث عنها من العلماء والمفكرين، وفي هذا السياق يمكن أن نستشهد بالعمل الذي تقدم به كازولارو (2018) Cuzzolaro وذلك من خلال الجدول التالي الذي نعرضه بتصريف:

#### الجدول رقم 01: التطور التاريخي للمصطلحات المرتبة بالتصور الجسدي

| التعبير أو المصطلح                                 | الكاتب الأول  | السنة |
|----------------------------------------------------|---------------|-------|
| الطرف المُتَوَهَّم (Phantom Limb)                  | A. Paré       | 1545  |
| الحس المشترك (Cenesthesia)                         | C.F. Hübner   | 1794  |
| وُهَامُ العَدَم (Delusion of Negation)             | J. Cotard     | 1882  |
| رُهابُ خَلَلِ البِنْيَةِ (Dysmorphophobia)         | E. Morselli   | 1891  |
| تَبَدُّدُ الشَّخْصِيَّة (Depersonalization)        | L. Dugas      | 1898  |
| الوعي الذاتي بالجسد (Somatopsyché)                 | C. Wernicke   | 1900  |
| استحواذ عار الجسد (Obsession of Body Shame)        | P.M.F. Janet  | 1903  |
| التصور الجسدي (Schéma Corporel. Eng : Body Schema) | P. Bonnier    | 1905  |
| عَمَهُ صَوْرَةُ البَدَن (Autotopagnosia)           | A. Pick       | 1908  |
| عمه العاهة (في الشلل النصفي) (Anosodiaphoria)      | J. Babinski   | 1914  |
| التصور الجسدي (Körperschema. Eng : Body Schema)    | P.F. Schilder | 1923  |
| صورة الجسم (Body Image)                            | P.F. Schilder | 1935  |

|                                                     |            |      |
|-----------------------------------------------------|------------|------|
| الاستياء المعياري [من الجسد] (Normative Discontent) | J. Rodin   | 1984 |
| نظرية تمثّل الجسد (Theory of Body Representation)   | C. Semenza | 2001 |

### تعريف التصور الجسدي

لقد تعددت تعريفات التصور الجسدي وتأثرت بالتطور التاريخي الطويل والمضطرب، لكن ورغم ذلك استطاع بعض الكتاب أن يقدموا تعريفات متقدمة قفزوا بها على ذلك الصراع الاصطلاحي والتخصصي الذي دار بين المختصين في علم النفس وعلم الأعصاب، وفي هذا السياق يعطينا سيلامي (Sillamy, 1980) تعريفاً معجمياً للتصور الجسدي فيرى أنه خبرة أي فرد منا عن جسمه الخاص، سواء كان في حالة حركة أو نشاط أو كان في حالة جمود أو ركود، وهذا بتأكيد التوازن الزمكاني، وضمن ارتباط مع العالم الخارجي. ولقد ركز (Sillamy, 1980) في تعريفه هذا على علاقة الجسد بالبعدين الزماني والمكاني، وذلك من خلال إدراك الفرد لجسمه ضمن هذين البعدين منطلقاً من ثلاث مرجعيات:

- أنا: تمثل الجسد.
- هنا: تمثل المكان.
- الآن: تمثل الزمان.

إضافة إلى التعريف السابق يأتي أجيريا غيرا (Ajuriaguerra) بتعريف متميز ودقيق للتصور الجسدي يجمع فيه بين علم النفس وعلم الأعصاب من خلال الوصف التالي: "ينبني التصور الجسدي على الانطباعات اللمسية والتمهية والبصرية، وهو يتحقق بفضل بنية نشطة مستمرة في تبادل المعطيات بين الحاضر والماضي بشكل ديناميكي مما يشير إلى أفعالنا كمدرجات ضمن إطار فضائي مرجعي أين تأخذ هذه الأفعال دلالتها" (Daurat- Hmeljak, Stambak, & Bergès, 2010, p5)

وبهذا فقد أكد أجيريا غيرا (Ajuriaguerra) على علاقة الجسم بالبعد الزمكاني، لكن يبدو أنه يركز على الجسم من حيث ابتعاده عن السكون واقترابه من النشاط، فقد استعمل كلمة أفعالنا كدلالة على الحركية وهذا المفهوم لا يوافق مركزية (Sillamy, 1980) في الزمان والمكان. كما حاول أجيريا غيرا (Ajuriaguerra) تبيان أهمية العوامل الحسية (السمع/اللمس/البصر) في تكوين هذا التصور.

بين هذا وذاك يحاول (de Jouffrey, 1995, p43) تبسيط مفهوم التصور الجسدي إلى أقصى حد من خلال تعريفه له بأنه "تلك الصورة التي تمتلك من طرف شخص ما عن

جسمه الخاص، و عن أعضائه المختلفة؛ و هذا التصور يتكون بدءًا من الشهر السادس، أين يبدأ الطفل في تفريق و تمييز جسده عمّا هو عند الآخرين، كما يتمكن من تمييز أعضاء جسمه عن بعضها البعض". إن تعريف دي جيفري (1995) deJouffrey يركز على الجسد أكثر و يهمل البعد الفضائي الزماني و المكاني و يكتفي ببعد الآخر كمرجعية لابد منها؛ لكنه و كإضافة إلى التعاريف السابقة حدد الفترة الزمنية التي يبدأ التصور الجسدي فيها بالتّكون و هي حسبه في حدود الشهر السادس.

أما فرانسواز دولتو (1984) F. Dolto فقد شاءت أن تعرّف التصور الجسدي تعريفًا أنثروبولوجيًا من خلال وصفها للتصور الجسدي بأنه ذلك التصور الذي يمنح الفرد تمثيلًا لنوعه، لأنه يعتبر مبدأ واحدًا عند أفراد النوع الإنساني، يتم تنظيمه منذ الطفولة بالتدريب و الخبرة. وبالتالي قدمت لنا دولتو تعريفًا يُحَمِّل التصور الجسدي مسؤولية كبيرة من خلال تعيينه في خانة المميزات الإنسانية و التي تحتوي على العقل و اللغة، فهذه المكانة التي منحتها دولتو للتصور الجسدي من شأنها أن تزيد من تعقيد هذا المفهوم.

وفي هذا الصدد يرى كل من أتاريا وتاناكا (2020) Ataria & Tanaka أن التصور الجسدي هو تلك الوظيفة التي تشكلنا كموضوعات ما قبل الانعكاس في العالم؛ إنها تمكننا من التحرك والعمل في العالم بشكل تلقائي تقريبًا، بدون اعتبارات واعية، فهنا يمكننا التحرك و السيطرة على أجسامنا دون عناء، حتى أننا ننسى أن لدينا جسدًا، فنقرر القيام بشيء ما، وتنفيذ رغباتنا ببساطة دون أي وعي بالعملية التي يتم من خلالها تحقيق ذلك، عندما يعمل التصور الجسدي بشكل صحيح حسب أتاريا وتاناكا يبقى الجسم في الخلفية ويظهر العالم لنا كمقدمة للانتباه الواعي، وطالما أن الجسم يعمل كخلفية فإننا نشعر بالراحة مع أجسادنا؛ حيث تتكون لدينا ثقة في أن أجسامنا سوف تتفاعل بشكل مناسب في مجموعة من المواقف، حتى في المواقف غير المألوفة.

بعيدا عن هذه القراءة الفلسفية المتداخلة، وفي مجال التعاريف البسيطة للتصور الجسدي نجد (Mendoza,2011, p427) يصفه بأنه مصطلح عام للإدراك الشخصي لجسد الفرد، بما في ذلك موقع وتوجيه أجزائه المختلفة وحركتها النسبية في المكان والزمان، فضلاً عن سلامتها الوظيفية. وانطلاقاً من هذا التعريف المباشر يمكننا في هذه الورقة البحثية أن نُقدم على محاولة تأسيس تعريف نرى أنه يناسب التصور الجسدي كمفهوم سيكولوجي، حيث نرى بأن التصور الجسدي هو:

تلك الصورة الذهنية التي يكونها أي فرد منا عن جسمه الخاص من خلال ما يريده من حواس السمع، البصر، واللمس؛ ولا يمكن لهذه المعلومات أن تأخذ دلالتها إلا بالرجوع إلى المرجعيات التالية: الآخر، الزمان، المكان.

ينتج عن تفاعل هذه المرجعيات من جهة و المعطيات الحسية من جهة أخرى؛ تكوين مجموعة مفاهيم عن هذا الجسد هذه المفاهيم هي:

- إدراك الجسد كوحدة متكاملة (الجسم المعاش)
- التعرف على مختلف أجزاء هذا الجسم.
- التنظيم الفضاء-جسدي؛ أي إدراك الجسم ضمن مرجعية الفضاء، سواء كان الجسم فيها ديناميكي أو ستاتيكي.

هذه الأبعاد الثلاثة تشكل في مجموعها مفهوم التصور الجسدي.

### الفرق بين التصور الجسدي وصورة الجسم

تاريخياً، حدث الكثير من الخلط بين مفهوم التصور الجسدي ومفاهيم أخرى مقارنة، لكن هذا الخلط كان في أشد مظاهره بين التصور الجسدي (Body Schema) وصورة الجسم (Body Image) حيث شاع استخدامهما كمرادفين سواء في ميادين العلم أو في ميادين أخرى، ولا يزال المصطلحان يستخدمان بنفس الخلط في كثير من الأدبيات المعاصرة، وضمن هذا الوضع القائم بُذلت جهود وحررت نصوص عديدة للتمييز بين المصطلحين وتعريفهما بطرق واضحة، حيث أشار (Gallagher, 2006) في محاولته لتفريق بينهما إلى أن صورة الجسم تتكون نتيجة التصورات والمواقف والمعتقدات المتعلقة بجسد المرء، في المقابل، يتكون التصور الجسدي من القدرات الحسية الحركية التي تتحكم في الحركة والوضعية.

على المستوى المعرفي، يمكن حسب (Haggard & Wolpert, 2005) التمييز بين المفهومين، من حيث أن التصور الجسدي يشير إلى تمثيل مواضع أجزاء الجسم في الفضاء، والتي يتم تحديثها أثناء حركة الجسم، وذلك بطريقة لا واعية، ويستخدم التصور الجسدي بشكل أساسي للتنظيم المكاني للحركة؛ وبالتالي فإن التصور الجسدي هو تمثيل مركزي للخصائص المكانية للجسم، بما في ذلك طول أجزاء الأطراف، وترتيبها الهرمي، وتكوين الأجزاء في الفضاء وشكل سطح الجسم. بينما تشير صورة الجسم إلى التمثيل البصري الواعي للطريقة التي يظهر بها الجسم من الخارج، وعادةً ما يكون في الوضع المعياري؛ وهنا يتوافق المفهوم العلمي تقريباً مع الاستخدام اليومي للمصطلح.

وفي مجال التفاعل والتداخل يرى (Ataria & Tanaka, 2020) بأن صورة الجسم والتصور الجسدي، ورغم أنها يشكلان من حيث المبدأ نظامين مختلفين، إلا أنهما في الحقيقة وثيقي الصلة، وفي هذا الإطار يطرح كل من (de Vignemont & Pitron, 2017,) (115) الأسئلة التالية: هل صورة الجسم والتصور الجسدي يعيدان تشكيل بعضهما البعض بطريقة أو بأخرى أم أنهما مستقلان نسبياً؟... وإذا كانا متطابقين، كيف يمكننا أن نتقبل بأن حركاتنا تسترشد بالتصور الجسدي فقط وأن صورة الجسم لا تساهم إطلاقاً في توجيهها؟

عن هذه الاسئلة يجيبنا أتاريا وتاناكا (2020) Ataria & Tanaka بقولهما أن التصور الجسدي وصورة الجسم يعتبران بلا شك نظامين مختلفين لكنهما مرتبطان ارتباطاً وظيفياً؛ ففي حين يمكننا تعريف صورة الجسم على أنها نظام من التصورات والمواقف والمعتقدات المتعلقة بجسد الفرد، فإن التصور الجسدي هو نظام من القدرات الحسية الحركية التي تعمل دون وعي أو مراقبة حسية؛ ولقد أثبتت الدراسات أن تطبيق مفاهيم صورة الجسم والتصور الجسدي بشكل وظيفي من شأنه أن يمكّننا من تصور الظواهر المرضية المعقدة بشكل جيد؛ مثل اضطراب فقدان الشهية والفصام وتبدد الشخصية؛ وبالمثل، فقد قيل أيضاً أن هذه المفاهيم تلعب دوراً حاسماً في قدرتنا على فهم تجاربنا الجسدية في العالم الاجتماعي والثقافي وفقاً لعوامل مختلفة، مثل الجنس والطبقة الاجتماعية والعرق. وذلك استناداً للأطروحة التي ترى بأن مفهومي التصور الجسدي وصورة الجسم يمكن أن يستوعب أحدهما الآخر في إطار الظواهر المرضية والتجارب الجسدية، وهذا ما يؤكدّه الطبيب النفسي فرانز عمر فانون (Frantz, 1970) في كتابه (Black skin, white masks) حينما يشير إلى أنه وفي ظل ظروف معينة، يمكن لصورة الجسم أن تستحوذ على التصور الجسدي وتعيد تشكيله.

ولتعزيز الرؤية الفارقة، نحن في حاجة إلى التعرف أكثر على صورة الجسم، وهنا يمكن أن نستحضر مجموعة من التعاريف المحكية نبدوها بتعريف فيشر وفينشر (Fisher & Fisher, 1964, p256) الذي يرى بأن صورة الجسم "تشير إلى الجسم كخبرة، وتركز على مشاعر الفرد و اتجاهاته نحو جسمه، و أنها تختص بخبرات الفرد الذاتية بجسمه، و الطريقة التي ينظم بها هذه الخبرة". أما أنزيو (Anzieu (1989) فيرى أن صورة الجسم تنشأ عند التقاء الجسد المادي مع الذات الجسمية، فصورة الجسم حسب تنتمي إلى الشكل الخيالي؛ فهي لا شعورية، يأخذ فيها الجسد وضعية الوسيلة التي نمارس عن طريقها

علاقتنا مع الآخرين. و يضيف -معطيا الفرق بين التصور الجسدي و صورة الجسم- قائلا "صورة الجسم قاعدتها انفعالية، أما التصور الجسدي فقاعدته عصبية"

يؤكد غالغير (Gallagher,1986) فكرة أن صورة الجسم تختلف عن التصور الجسدي، حيث أن هذا الأخير -حسب رأيه- حركة غير واعية "إن التصور الجسدي.. ليس إدراكا لجسمي، ولا صورة عن جسبي، فالتصور ليس هو الوعي الهامشي للجسم.." فـجسم التصور الجسدي هو جسمٌ فاعل (Corps sujet) أما جسم صورة الجسم فهو جسمٌ موضوع (Corps objet). (Legrand, 2005, p713)

و كخلاصة لهذا الفرق المفاهيمي يمكن تبني الرؤية التي تقدم بها كل من (Sivadon & Gantheret, 1973) والتي تتلخص في أن الإدراك الذاتي للجسم (Auto-perception) ينطوي على مستويين، المستوى الأول خاص بالتصور الجسدي، و هو يتموضع على مستوى الجانب العصبي بما في ذلك التخلق المتعاقب (L'épigenèse) و تلك السمات المجدولة، و التي من أمثلتها ما يحصل مباشرة بعد الولادة من ردة فعل جراء امتصاص الرضيع للثدي، فهي بالتالي تحسب ضمن التاريخ الطفلي، أما المستوى الثاني فهو أكثر تعقيدا، و المتمثل في صورة الجسم فهو أيضا يعتمد على العوامل العصبية لكن نضيف إلى ذلك العوامل السيكلولوجية و الاجتماعية الأكثر حضورا و التي من خصائصها الحساسية و التذبذب. وكتنمة لخلاصة الفرق المفاهيمي بين التصور الجسدي وصورة الجسم يمكن أن نكتّف مختلف الرؤى السابقة ضمن الجدول التالي:

الجدول رقم 02: يوضح مجموعة من الفروق بين كل من التصور الجسدي وصورة الجسم.

| المظهر         | التصور الجسدي (body schema)                                                                                                                                                 | صورة الجسم (body image)                                                                                                          |
|----------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الجانب النمائي | يتموضع التصور الجسدي على مستوى النظام العصبي المعرفي من حيث استعماله للحواس، و بالأخص تلك النقاط التي تتوزع على مستوى الجانب الاشباعي، يضاف إليها عملية التعلم و ما تتطلبه. | تتموضع صورة الجسم ضمن الجانب النفس-اجتماعي، حيث تؤثر وتتأثر بالمفاهيم التي يعطيها المجتمع؛ لكنها تعتمد كوسيلة على الجانب العصبي. |

|                       |                                                                                                                                 |                                                                                                                                                                                     |
|-----------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| موضعية التحليل النفسي | بالنسبة للموضعية التحليلية في مستواها الأول يستقر التصور الجسدي ضمن مجال ما قبل الشعور.                                         | أما صورة الجسم فهي صورة لا شعورية خيالية.                                                                                                                                           |
| الجانب العلائقي       | بالنسبة للجانب العلائقي يكون التصور الجسدي علاقة جسد-فضائية من خلال التبادل بين المعطيات الفضائية والإمكانات الجسمية المتعلمة.  | أما في صورة الجسم فتكون العلاقة جسد-اجتماعية ذلك أن المجتمع يؤثر في هذه الصورة، فيوجهها بنسبة ويترك الباقي لأليات الفرد النفسية.                                                    |
| المكونات البنائية     | بالنسبة للمكونات البنائية ينطوي التصور الجسدي على مكون وحيد و هو المكون الإدراكي المفاهيمي، و الذي يكتسبه الفرد من خلال التعلم. | أما صورة الجسم فتحتوي مكّونان، مكون إدراكي مفاهيمي ويضاف إليه المكون الانفعالي الذي يتضمن خبرات الرضا أو عدم الرضا عن هذه الصورة الجسمية.                                           |
| متغير الجنس           | بالنسبة للجنس لا يتأثر التصور الجسدي بعامل الجنس إلا من حيث أن القدرات العصبية تختلف بين الجنسين في جانب طفيف.                  | أما بالنسبة لصورة الجسم فالتأثر يكون فيها واضحا بين الجنسين، فأغلب الدراسات أظهرت أن الإناث أكثر تأثرا لصورة أجسامهن من الذكور.                                                     |
| قابلية التغيير        | إن التصور الجسدي ليس صعب التغيير إلا إذا تعلق الأمر بخلل عصبي، فالتصور الجسدي يمكن تغييره عن طريق التدريب و التعلم.             | أما صورة الجسم فهي أصعب في التغيير فعدم الرضا عن الجسم مثلا يلزم لتغييره تدخلا إرشاديا و نفسيا، اقل ما يقال عنه انه مكثف ووفق نظام متكامل بين أطراف المجتمع و الحالة المتعامل معها. |

### مسارات نمو وتطور التصور الجسدي

كثيرة هي المحاولات العلمية التي هدفت الى تكون صورة سليمة عن المسارات والمراحل النمائية التي يقطعها التصور الجسدي نحو اكتماله كقدرة نفس حركية، وفي هذا الإطار سنحاول أن نقتصر على عرض مقارنة واحدة، من بين هذه المقاربات التي تسعى لتحديد مسارات ومراحل نمو وتطور التصور الجسدي ألا وهي المقاربة النفس حركية. لكن قبل ذلك سنكون في حاجة للتعرف على خصائص التصور الجسدي كقدرة نفس حركية، حيث يشير هنا موراسو وآخرون (Morasso et al. (2015 الى أن التصور الجسدي يتميز بالسمات النمائية التالية:

- إنه مشفر مكانيًا بمعنى أنه يمثل موقعًا وتكوينًا للجسم ككائن ثلاثي الأبعاد في الفضاء.
- إنه موزع ومقسم الى وحدات لأنه غير ممثل في منطقة واحدة من الدماغ، ويتضمن عددًا من الوحدات المتفاعلة، مثل الحلقات الجبهية-الجدارية (fronto-parietal loops).
- إنه ذو وحدات متداخلة وخارجية بمعنى أنه يدمج المعلومات الحسية واللمسية للحفاظ على تمثيل الجسم ثلاثي الأبعاد، متغيرًا في الوقت، مع الحفاظ على هويته الوظيفية؛ علاوة على ذلك، يتم تعديل هذا التمثيل أيضًا بواسطة قنوات حسية أخرى، على سبيل المثال، الرؤية، كدالة لقيود مهمة محددة وظروف بيئية. يشير هذا إلى أن التصور الجسدي مسؤول بطريقة ما عن دمج الطرائق الحسية المختلفة بطريقة تحقق تمثيلًا تجريديًا أو نمطيًا، مع الحفاظ على التماسك الكلي الموجه نحو الحركة.
- يتميز بمرونة قصيرة المدى و إعادة تنظيم على مقياس وقي لا يتجاوز بضعة ثواني، كما يتضح ذلك من التكامل السريع للأدوات في التصور الجسدي.

انطلاقًا من هذه المميزات والخصائص المتفردة، يمكننا أن نعرض التطور النمائي للتصور الجسدي وذلك كما تقدم به ستايز ودي مور (De Meur & Staes (1981 حيث يشيران الى أن مراحل نمو وتطور التصور الجسدي تتمثل في أربع مراحل هي:

أ. ادراك الجسد كوحدة متكاملة (من 0 حتى 02 سنة):

في أثناء هذه المرحلة الأولى، يستطيع الطفل ممارسة عدة نشاطات حركية، و التي تعرض في شكل ألعاب مختلفة، وذلك بهدف الوصول إلى تحكم عام في هذه الحركات و لإدراك جسمه بشكل كامل.

هذه النشاطات تنتقل من كونها نشاطات عفوية تلقائية (والتي تستعمل أثناء اللعب) إلى نشاطات أكثر اندماجية ضمن محاولة الوصول إلى استجابات للمعطيات و

الأوامر اللفظية (امشي!! اجري!! اقفز!!) و ضمن إحساسات دقيقة (توازن، وقوف...) و ضمن عروض محددة (الزحف على أربع قوائم، المشي الهلواني...)

ب. التعرف على أجزاء الجسم (من 02 إلى 05 سنة):

بعد الإدراك الكلي للجسم تأتي مرحلة التعرف على كل عضو من الجسم كجزء خاص و ذلك بشكل داخلي (بالإحساس بكل عضو من أعضاء الجسم) و بشكل خارجي (عن طريق رؤية كل عضو على المرأة، أو على طفل آخر، أو ضمن صورة).

والطفل مدعو هنا لتحديد كل عضو بالاستناد للأخر، و ذلك بغية الحصول على تمثيل جسدي، كما يجب عليه أيضا أن يستطيع إظهار و تسمية الأجزاء المختلفة من الجسم و وضعها ضمن إطار حسي.

ج. التوجه الفضائي (من 05 إلى 06 سنوات):

الطفل هنا يمر إلى:

- إمكانية القيام بأعمال حسية أكثر إجرائية.
  - الربط بين المركبات الجسمية ومختلف الأشياء الخاصة بالحياة اليومية.
  - معرفة أكثر تحليلية للفضاء الاشاري (و التي تعني مختلف الوضعيات التي يمكن أن يأخذها كل عضو من الجسم).
- في هذه المرحلة يركز الطفل على الوضعيات المختلفة و ليس على الحركات، ففي أثناء أي نشاط يجب أن يسجل وجود وقت مستقطع ضروري من اجل أن يحس الطفل بالوضعية و كذا بتسجيل ضيق خفيف و تعب من اجل الوعي بالعضو المتموضع للمساعدة في إدراك مفهوم هذه الوضعية.

د. التنظيم الفضاء-جسمي (من 06 إلى 08 سنوات):

في هذه المرحلة يتمكن الطفل من التلاعب بمختلف إمكانياته الجسدية، و يعرف مختلف أقسام جسمه كما يعرف مختلف المفاهيم و الوضعيات، و يصل إلى وضع نفسه ضمن حركية:

- من وجهة تحليلية: يصل إلى التحكم الجسدي بفعل نشاطات التناسق، و التوازن و كف و إصدار الحركات.

○ من وجهة تركيبيّة: من جهة يتوقع و يكيّف حركاته من اجل الوصول إلى الهدف المطلوب، و من جهة يعبر بواسطة جسده عن الفعل أو عن الإحساس أو عن الانفعال.

الطفل هنا سيتوصل إلى التخطيط لحركاته، و إلى فهم الوضعيات المعروضة بواسطة المواقف و التعبير عن الشخصيات، و التعبير بالرسم المختصر، و الفهم و التحكم في الحوار الجسدي، بوصفهم أهم مظاهر التطور السليم للتصور الجسدي.

#### قائمة المراجع

- Alcaraz L.A. (2021). New Forms of Embodiment. In: *Are Cyborgs Persons? Palgrave Studies in the Future of Humanity and its Successors*. Palgrave Macmillan, Cham. [https://doi.org/10.1007/978-3-030-60315-1\\_5](https://doi.org/10.1007/978-3-030-60315-1_5)
- Angelergues, R. (1972). Paradoxes in psychiatry. Apropos of certain books challenging psychiatry and its institutions. *L'Evolution psychiatrique*, 37(1), 5-40.
- Anzieu, D. (1989). *The skin ego*. (C. Turner, Trans.). Yale University Press.
- Ataria, Y., & Tanaka, S. (2020). When Body Image Takes over the Body Schema: The Case of Frantz Fanon. *Human Studies*, 43, 1-13 <https://doi.org/10.1007/s10746-020-09543-6>
- Bonnier P. (1904). *Le vertige* (deuxième édition). Paris: Masson.
- Cuzzolaro M. (2018) Body Schema and Body Image: History and Controversies. In: Cuzzolaro M., Fassino S. (eds) *Body Image, Eating, and Weight*. Springer, Cham. [https://doi.org/10.1007/978-3-319-90817-5\\_1](https://doi.org/10.1007/978-3-319-90817-5_1)
- Daurat-Hmeljak, C., Stambak, M., & Bergès, J. (2010). *Test de schéma corporel: une épreuve de connaissance et de construction de l'image du corps*. Paris : ECPA.
- de Jouffrey, P. M. (1995). *la psychologie de l'enfant*. Allier-Belgique : édition marabout
- De Meur, A., & Staes, L. (1981). *Psychomotricité: éducation et rééducation*. De Boeck.
- De Preester, H., & Knockaert, V. (Eds.). (2005). *Body image and body schema: Interdisciplinary perspectives on the body* (Vol. 62). John Benjamins Publishing.
- De Vignemont, F. (2010). Body schema and body image—Pros and cons. *Neuropsychologia*, 48(3), 669-680.
- Dolto, F. (1984). *l'image inconsciente du corps*, édition Le Seuil.

- Fanon, F. (1970). *Black skin, white masks*. Grove press.
- Fisher, S., & Fisher, R. L. (1964). Body image boundaries and patterns of body perception. *The Journal of Abnormal and Social Psychology*, 68(3), 255.
- Gallagher, S. (1986). Lived body and environment. *Research in phenomenology*, 16(1), 139-170. In Legrand, D. (2005). Le soi corporel. *L'Evolution psychiatrique*, 70(4), 709-719.
- Gallagher, S. (2006). *How the body shapes the mind*. USA : Clarendon Press.
- Haggard, P., & Wolpert, D. M. (2005). Disorders of body scheme. In In Freund, HJ, Jeannerod, M., Hallett, M., Leiguarda R.,(Eds.), *Higher-Order Motor Disorders*.
- Head, H., & Holmes, G. (1911). Sensory disturbances from cerebral lesions. *Brain*, 34(2-3), 102-254
- Mendoza J.E. (2011) Body Schema. In: Kreutzer J.S., De Luca J., Caplan B. (eds) *Encyclopedia of Clinical Neuropsychology*. Springer, New York, NY. [https://doi.org/10.1007/978-0-387-79948-3\\_713](https://doi.org/10.1007/978-0-387-79948-3_713)
- Morasso, P., Casadio, M., Mohan, V., Rea, F., & Zenzeri, J. (2015). Revisiting the body-schema concept in the context of whole-body postural-focal dynamics. *Frontiers in human neuroscience*, 9, 83. <https://doi.org/10.3389/fnhum.2015.00083>
- Pitron, V., & de Vignemont, F. (2017). Beyond differences between the body schema and the body image: Insights from body hallucinations. *Consciousness and Cognition*, 53, 115–121. <https://doi.org/10.1016/j.concog.2017.06.006>.
- Schilder, P. A. U. L. (1935). *The Image and Appearance of the Human Body: Psyche Monographs, No. 4*. London: Kegan Paul, Trench, Trubner & Co.
- Sillamy, N. (1980). *Dictionnaire encyclopédique de psychologie*. Bordas.
- Sivadon, P., & Gantheret, F. (1973). *La reeducation corporelle des fonctions mentales: par paul sivadon et francois gantheret. 3e ed.* Editions Sociales Francaises.